أجواء العيد.. طقوس فرائحية روحها السلام وبهجتها الأطفال

عقب ظهيرة اليوم الأخير للضجيج، كانت هي ذروة الزحام في شوارع هائل المخنوق بالبشر والبسطات، والباعة المتجولين وشرداً من لصوص الظلام المنتظرين لعنة الكهرباء لممارسة هوايات النشل.. هذه الذروة كانت هي المساحة التي تعتد من الساعات الثانية ظهراً، حتى التاسعة ليلاً على مشارف صبيحة العيد، لبدءس أول انكسار لخط الانحدار المفاجئ، ساحبا أذيال الزحام، أمام زحف الجو الفرائحي في نفوس الناس قبل أن يتجلى صدر المدينة بابتهاج الصباح.. لكن الأهم في هذه التناوله المقتضبة، على عتبات يوم العيد، هو كيف تتداخل عوامل الفصل التام..

ذروة الزحام والصخب وبين بهجة المدينة بالعيد وما اللافت فيها وما الجديد ولماذا الأطفال وحدهم هم بهجة العيد ونرجسته وفوحه الزاكي وما الذي تبقى للفن والعاطفة والصفح الجميل؟

تحقيق/ محمد محمد إبراهيم

> وحده الصخب والزحام الذي يجعلك تعترف بشيء اسمه العيد وتتناسى تماما بهجة الفرح والأمل في وجوه الناس حين كانت البشاشة حللاً من فيض البشر فتذكر نفسك بالكاد وأنت خافض جناحيك في شرنقة الزحام حتى لا تتيه خطاك وتمديد الزحام الذي يحمل غشاً من النفوس إلى جيبك فتخرج عن طورك كما حدث أمامي في أحد الأسواق حيث صرخ حسن 54 عاما على ما يبذر ضاربا كفا بكف عيال الحرام سرقوني يحكي حسن عبدالله الذي يحرس في عمارة بحي بغداد أنه دخل شارع هائل لشراء مصاريف العيد لكنه لم يعرف متى سرقت محفظة نقوده من جيبه خلال الزحام إذ لم ينتبه على حد قوله حين أدخل يده ليخرج النقود ليحاسب المحل إنه مقهور على حلمه في شراء حاجيات العيد وملابس الأطفال كل من شاهده عض شفة الندم رفقا بحاله كان ذلك في مساء الاثنين الذي سبق العيد 12 ساعة فقط حينها خرجت من السوق في حالة من القرف إنها واحدة من أهم لعنات الصخب والزحام التي تعتري المدينة وتقهر البسطاء ودون رحمة في ظل غياب القانون والشرع ما أطلق العنان لذوي النفوس المريضة وعديمي الضمائر الذين يغالطون أنفسهم بالكسب الحرام والتطاول على قوت أطفال وصغار ليس لهم غير هذا الزاد.

تراجع مفاجئ

لم يكن لائقا أن تكون القصة السابقة في

> **تسابيح المساجد وأصداء الصوامع تتزامن مع ذهبية شروق العيد، والقرى تتنفس العيد من وحي الطبيعة**

صدارة تسلسل هذه الأجواء الفرائحية لكنا ألمها سيفقد الضحية بشيء كبير من فرحه ويجعله يعيش جواً آخر وبعداً نفسياً حزينا وهذا حري بأن يتذكره من يمر على هذا التحقيق مدركا أن فردا بل آلاف من المجتمع يعيشون أجواء حزينة في بهجة العيد في تمام الساعة التاسعة مساء بدأت الانكسار بخطة المنحدر بشكل مفاجئ قد بلغ ذروته في لحركة حيث تتجه الحركة نحو الفرز والخطوط الطويلة دون توقف بل بسرعة السحاب الشوارع تخف والمحلات التجارية والأسواق الكبيرة والسوبر ماركات تتقيأ، مخلفاتها الكرتونية، والبلاستكية إلى الشوارع فيما عمال النظافة، على أهبة الاستعداد لسماع صفارة ساعة الصفر على تمام الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل، لمسح الشوارع بسواعد العزيمة وتنظيفها بإشراف إداري من المديريات، وترتيب كل شيء لاستقبال صباح العيد الكبير عيد الأضحى المبارك، ذو الأجواء الفرائحية الأكثر والأوسع انتشاراً بحكم سفر الناس بعوائلهم إلى القرى والأرياف كون هذا العيد هو العيد الكبير في نظر المجتمع اليمني والمجتمعات العربية..

مع إشراقه شمس أول أيام عيد الأضحى المبارك تكون المدينة قد استعادت عذريتها الحضرية ووجهها البهي، وشوارعها المفتوحة على الهواء الطلق فيما أبواب المحال موصودة تنصت بهدوء مع البشر لتسابيح العيد المبخر بروحانية الحج العظيم، الذي تتسع تلبية حجابه لتملأ الآفاق وتدخل المنازل والبيوت. وتعمّر المنارات في كل أنحاء المعمورة.. فالكل يصدح معهم والمساجد تنصت خاشعة والأطفال ينتظرون صفارة البهجة الطماش وعسب العيد.

على هذا الجو يشرق العيد مبهجاً في كل مكان من المدينة، أما القرى فإشراقة شمس يومها الأول غير كل الاشراقات فالإنسان يتنفس الطبيعة من جوقة النقاء وبخار الطل الذي يتبسم لحظة الشروق ولون فجره وشمس الوثير، ومع اجتماع أبناء القرى في المساجد أو الجبانات تكون القرى قد استعادت أغلب طيورها المهاجرة على إيقاع الفرح والمحبة.

السلام روح العيد

حين يكون صباح العيد قد رتب إشراقته الروحية والضوئية ونشر أفيائه في النفوس تكون الأيدي قد فكت أجنحة الصمت معلنة مد جسور السلام والمحبة والتسامح، مع الأهل والصغار والجيران والأبعد فالأبعد لتصل النفوس النقية والصالحة إلى حب الخير والسلام الحقيقي لكل بني الأنسانية..

ولأن السلام هو مفتاح الخير والحب والتعايش فقد صار مع تقادم الأيام هو روح العيد الذي يسري في المجتمع ما لم تدنسه أمراض الحقد.. وليس غريباً عليه هذه السمة والميدة فهو يجعلك تمد يد الحب والتسامح

> **حين يصل الضجيج ذروته تكون المدينة على أهبة الاستعداد لترتيب شوارعها لاستقبال يوم العيد**

والصفح الجميل لمن عرفت ومن لم تعرف فتبدأ من الأم والأب والأهل والصغار والجيران والمساحة مفتوحة باستدارة فرحة العيد بين جفون الصغار وغُرر الورود..

بهجة العيد

تصور نفسك في منفى أو بعيداً في مدينة تكلست فيها قيم التعارف والرحمة أو في معسكر يتصف بأعلى دجات القسوة العسكرية والحيطة والحذر فما الذي يعنيه لك العيد؟! دون أن ترى ابتسامة طفل أو دلال طفلتك أو حتى أطفالاً آخرين يذكرونك بأجواء العيد، بالتأكيد سيمر عليك يوم العيد كأي يوم قتلته المعاناة، وصادرت جماله الالتزامات والانضباط، وغيرها.. وهنا لن تشم رائحة الفرح وحرية الحركة وأكسير السرور، ولهذا سيدرك جميعنا أن لا بهجة ولا لون وأنق للعيد دون فرح الأطفال ولعبهم وضحكاتهم..

أتذكر في هذا المقام أخي قبل خمس سنوات من الزواج وتكوين الأسرة التي أعيش السعادة في ظلها، كنت إذا صادفت الظروف وأقضي العيد في صنعاء لعمل.. أفر في أقرب فرصة تسنح لي، لأعمل لفّة كاملة إلى حديقة السبعين أو حديقة الثورة لأرى الأطفال والألعاب والفرح.. ما قاله عبدالله علي زيد صاحب بقالة حين سألته عن معنى العيد دون أطفال، وأضاف: "لا اعتقد اليوم أو قبل اليوم، أن إنسان يشعر بأن للعيد مكانة أو معنى بدون الأطفال حتى الناس الذين لم يرزقهم الله الأطفال لأسباب ما لا يعيشون العيد بمعناه الحقيقي إلا حين يصافحون أو يرون الأطفال.

العيد عن بعد

ما ذكرناه لا يعني أن الزمن يتوقف حين يمر عيده بلا عيش في أجواء الأسرة.. فكثير من

> **لا معنى للعيد بلا أطفال والتكنولوجيا زاد المعيِّدين عن بُعد**

الناس والمغتربين والمجندين، يعيشون العيد بعيداً عن أسرهم إلا أن للعيد أجواء فرائحية يعيشونها عن بعد من خلال التكنولوجيا الحديثة وطفرتها التي وصلت إلى كل بيت، فالتواصل يبلغ ذروته عبر الهاتف النقال في اليمن وهذا ما يقوله المهندس أحمد دحان - موظف في شركة اتصالات مؤكداً أن الخطوط أيام العيد تزدحم إلى درجة الاختناق أحياناً، والتقطع في الشبكة، وتظل الاختناقات خلال الثلاثة الأيام للعيد لكن اليوم الأول تكون ذروة الاتصالات كجزء من طقوس وأجواء العيد عن بُعد..

عبدالله حويس

شكلت مظهراً حضارياً للمدينة لكن ينقصها الترتيب

مراكز التسوق الكبرى.. اختناق مروري أم أزمة مواقف؟!

تحقيق مصور/محمد محمد إبراهيم

رغم الإجازة المبكرة التي شهدتها المؤسسات والشركات والدوائر الحكومية إلا أن الزحام استمر على عادته في شوارع العاصمة المفتوحة فشارع الستين الذي يمثل الخط السريع تحول إلى شريان بالمركبات من الصباح إلى الساعات المتأخرة من الليل.. ولم يكن شارع الستين قبل خمس إلى سبع سنوات بهذا الزحام الذي تشهده الثلاثة الأيام التي تسبق العيد.. فما سر الزحام والاختناق بأسرع الخطوط في العاصمة صنعاء..؟

على خط الستين فقط- مّرينا للقراءة البصرية على أكثر الأماكن زحاما واختناقا مروريا كانت البداية من جولة عمران باتجاه جامعة صنعاء على خط الستين كانت الجولة أشبه بالفراغ إلا من قلابات الناس التي أوقفت إلى بعد العيد كما يبدو، رأيناها فراغا ليس بانعدام الحركة المعتادة بل مقارنة بما لاحظناه على خط المطار من اختناق خصوصا في دارس التي تكثر فيه

مراكز التسوق على ضفتي الشارع لتكون هي جوهر المحشر العيدي الحقيقي حيث تخرج الأسر بالمئات إن لم نقل بالآلاف المهم انطلقنا من جولة عمران على متن تاكس (مشوار صحفي بحت) كان عادل الوصابي سائق التاكس يتحدث بنشوة العيد وحركة العمل وذروته «يا أخي ما عاد معانا إلا العيد يزيدوا يحسدونا عليه».. التفت إليه منهم؟.. ضحك الزبائن «يا أخي المفروض ما يترجّلونا فلس في العيد».. مضينا بسرعة ونحن نتبادل أطراف الحديث عن العيد والعمل والزحام كانت أول نقطة تستوقفنا هي زحام سوق علي محسن غرب التلفزيون وقبل جامعة الإيمان كانت الساعة الخامسة عصرا يبقى للعيد يومان فقط كنا ننتظر حركة السير التي عكرتها اختناقات مركبات داخلة وخارجة من مركز تسوق ومحلات تجارية على مدخل لحارات غرب السوق فيما الخط المقابل للسوق كان يختنق بمركبات البضائع ودينات الدواجن والأعلاف الداخلة والخارجة من وإلى السوق، قال الوصابي «وهذا الذي يعصد الدنيا» يقصد بذلك العمل في العيد خرجنا من الزحام وانطلقنا لنصادف الاختناق الأشد بداية جسر مذبح حيث يوجد مركز تسوق جديد على الخط تماما وقبل مستشفى آزال لا يتضح معالم موقف لهذا المركز سوى الخط العام.. خرجنا من هذا الزحام لنتوقف تحت جسر السنينية الذي تحول إلى سوق وبسطات من الصعب أن يستوعب بعدها حركة المشاة.. فيما يعبر المارة من الخط السريع الذي لم يعد سوى طريق سلحفاة، نظراً لتعطيل وظيفة جسر المشاة، ومراكز التسوق التي تعج بها الضفة الغربية لستين السنينية المار إلى عصر.

خرجنا من هذا الزحام، وعبر نفق عصر، انطلقنا باتجاه عطان المصباحي، لنتوقف عند زحام واختناق أهم ممرات الستين حيث تتوقف المركبات تماماً فبعد شركة النفط اليمنية مباشرة يوجد كنج مول.. بموقف خلفي محدود لا يتسع للأيام العادية، فما بالنا بالعيد وما يشهده من إقبال للأسر.. هذا من شمالنا ونحن باتجاه المصباحي، أما على اليمين، فمركز ظمران الذي يملك موقفا كبيراً لكنه للحركة الاعتيادية فقط، وبعده من شمالنا «سيتي ماكس» الأكثر زحاما وخنقا للمرور بعدهما تتقابل الأسواق المركزية الكبرى على الجنابين حتى جولة المصباحي.. التي يبدأ منها محشر الزحام باتجاه حدة حيث مراكز العزاني وما تشكله من اختناق.

أخيراً لا ينكر أحد أن هذه المراكز أحرزت سبقاً خدمياً واستهلاكياً رائعاً خدم المجتمع، وكسر الاحتكار الذي كان يمارسه مجموعة محدودة من أرباب رؤوس الأموال الشركات العائلية، داخل المدينة، وخدمة حركة الناس حيث أخرج الآلاف من المواطنين من أعماق الأحياء إلى هذه الخطوط، كما عكست هذه المراكز التجارية مظهراً أضفى جمالاً وحضارية على المجمل العام لشكل المدينة لكن ما لم يدرس وتتنبه له الجهات المعنية، هو إنفاذ اللوائح المتعلقة بضرورة وجود مواقف كبيرة تتسع لهذا الزحام أو مراعاة التخطيط الحضري في المواقف المحدودة ومراعاة قواعد المرور في الوقوف الصحيح والذي يسمح بمرور وحركة الآخرين.. فعندما ندخل الشوارع داخل المدينة نجدها مثلاً فارغة، ما يعني أن الحراكة تحولت إلى الأسواق الجديدة، وهذا يعكس أن الاختناقات قد خفّت كثيراً وأن المسألة نظام مروري وإداري وأن الأزمة أيضاً تمكن في الثقافة الحضرية والتجارية لأصحاب المراكز الذين لا يراعون ضرورة وجود المواقف الكافية التي تستوعب حركة الناس وزحام العيد.

عبدالله حويس